



مجلة جامعة ذمار



للدراستات والبحوث الإنسانية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالمعرفة الإنسانية

أهمية التكامل الجيوبوليتيكي لمجلس التعاون لدول الخليج العربي مع اليمن

الاحتراز للمعنى في القرآن الكريم

سورياتية الصورة في القصيدة اليمنية المعاصرة

القرصنة البحرية في اليمن في العصر الاسلامي

الشعور بالذنب وعلاقته بتصور الانتحار والتوجه الديني لدى طلبة جامعة عدن

العدد الرابع عشر - آذار 1453 هـ - يناير 2012 م



القرصنة البحرية في اليمن في العصر الإسلامي

من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجري / القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي

* د. هبة حسين عوض خديعة

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية عن القرصنة البحرية في اليمن في العصر الإسلامي من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجري / القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي، لما لهذه الظاهرة من أهمية في تاريخ اليمن الإسلامي وانعكاسات وآثار، وتبرز أهمية هذه الظاهرة كون السواحل اليمنية ما زالت تعاني منها حتى يومنا هذا بحكم الموقع الاستراتيجي الهام لليمن على خطوط التجارة العالمية عند مدخل مضيق باب المندب، وطمع الكثير من اللصوص (القرصنة) في الحصول على مغتنيات السفن التجارية المارة عبر هذه الخطوط البحرية، وقد حاولنا دراسة هذا الموضوع من نواحي متعددة في محاولة لإشباعه، من خلال إظهار الأبعاد التاريخية لهذه الظاهرة البحرية في المياه اليمنية، والعوامل التي أدت إلى انتشارها، وما كتب عنها في المصادر التاريخية وما وصفت به، ومراحل تطورها، كما ذهبنا في بحثنا هذا إلى دراسة الأوضاع العامة للقرصنة من خلال البحث في نمط حياتهم، وتركيباتهم الاجتماعية، وأساليب تعاملهم مع من حولهم من ضحايا وأناس تعاملوا معهم في أثناء رحلاتهم البحرية، مشيرين إلى الجهود الجبارة التي بذلتها الدول الكبرى واليمن في محاربة القرصنة، وما ترتب على ذلك من آثار على مستوى اليمن وعلاقتها الخارجية بمن حولها من الدول.

لقد توصلنا في بحثنا هذا إلى عدد من النتائج أهمها إن القرصنة البحرية كانت من بين أهم الأسباب الرئيسية التي عرضت اليمن للكثير من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما أنها كانت دافع وذريعة للوصول لبعض الدول الكبرى إلى المياه والأراضي اليمنية والسيطرة عليها بحجة حمايتها والدفاع عنها من سفن القرصنة بعد أن عجز بعض حكام اليمن من حماية الطريق البحري وسفن هذه الدول، على الرغم من الجهود العظيمة التي بذلها بعض هؤلاء الحكام والأهالي في اليمن للقضاء على هذه الظاهرة أو التخفيف منها.

مقدمة:

وقد كانت فترة التاريخ الإسلامي المتأخرة من أكثر الفترات التي انتعشت فيها التجارة اليمنية الداخلية والخارجية وتحديداً من القرن السادس إلى القرن العاشر الهجري / الثاني عشر إلى السادس عشر الميلادي، إذ شهدت فيها الموانئ اليمنية حركة نهوض تجارية قوية، لاسيما بين اليمن ومواقع الثقل التجاري العالمي في ذلك الحين في جنوب شرق آسيا أو بين اليمن وموانئ البلاد القريبة منها الواقعة على الساحل الشرقي لأفريقيا كموانئ مصر والسودان والحبشة وغيرها وذلك بعد أن لقيت التجارة عناية خاصة واهتمام كبير من قبل ملوك الدول الذين حكموا اليمن في المدة المذكورة، مثل ملوك الدولة الأيوبية والدولة الرسولية والدولة الطاهرية الذين راحوا يسهلون ما يمكن تسهيله للتجار، ويخفضون لهم في الضرائب، ويحسنون استقبالهم واستضافتهم عند وصولهم إلى اليمن، ويوفرون لهم مواقع الإقامة ليرغبوهم في التجارة مع اليمن، إلا أن أكثر ما كان يعكر صفو هذه التجارة ما كان يقوم به لصووس البحر من القرصنة الخارجين عن سيطرة الدولة من أعمال نهب واغتصاب لسفن التجار في عرض البحر، مما جاء بنتائج عكسية على هذه التجارة التي كانت تتعرض لحالات كساد في المدة المذكورة التي يشهد فيها خطر القرصنة، علماً بأن تقطع هؤلاء للسفن التجارية وغيرها كثيراً ما كان لقوة الدولة على السواحل اليمنية دوراً فيه؛ فكلما ضعفت الدولة وخفت رقابتها على البحار كلما زاد السطو على السفن، وهو ما جعل من القرصنة

من المعروف تاريخياً عن اليمن أنها تطل على بحرين من أهم بحار العالم، هما البحر الأحمر (القلزم) وبحر العرب، وتأتي أهمية البحرين المذكورين كونهما يمثلان أهم طرق الملاحة البحرية العالمية عبر العصور، فموقع اليمن على مضيق باب المندب في الجزء الجنوبي الغربي من القارة الآسيوية عند ملتقى البحر الأحمر وبحر العرب، أعطى لها أهمية استراتيجية واقتصادية وتجارية، وقد فرض هذا الموقع الاستراتيجي على جميع السفن القادمة من جنوب شرق آسيا وبلاد الهند والساحل الشرقي الجنوبي لأفريقيا المرور بالمياه اليمنية لوقوعها على خط التجارة العالمي المتجه شمالاً إلى الحجاز وبلاد الشام ومصر وشمال غرب أفريقيا التي تنقل منها البضائع التجارية إلى البلاد الواقعة شمال البحر المتوسط (بحر الروم) وإلى غيرها، كما أعطى هذا الموقع نفسه لليمن أهمية تجارية ساعدت على أن تصبح من أهم مراكز الثقل التجاري، ومن أهم مواقع التموين للسفن القادمة من بلاد الهند وغيرها، إذ كانت هذه السفن تمر باليمن لتمتد بما تحتاج إليه من ماء وغذاء، وللحصول على قسط من الراحة حتى تتمكن من مواصلة رحلتها إلى البلاد المتجهة إليها، كما تقف بعض السفن في الموانئ اليمنية لإصلاح ما خرب فيها بسبب شدة الرياح، وقوة تدفق الأمواج وغير ذلك.

المبحث الأول:

أبعاد ظاهرة القرصنة في السواحل اليمنية ومراحل تطورها:

تُعدُّ القرصنة من الظواهر التي بُليت بها اليمن منذ أمر بعيد، وقد انعكس اشتدادها في أوقات محددة على حركة التجارة فكانت سبباً في ركودها، وقد وجد القرصنة في سواحل اليمن المفتوحة والطويلة، وفي المراكب المحملة بأنواع البضائع القادمة إليها أو المغادرة منها خير وسيلة للعيش بعد مهاجمتها وسلب ما فيها من بضائع وأموال، وقد كلفت أفعال القرصنة المتهورة حكام اليمن وتجارها الأموال الكثيرة، ودفعتهم - ليس على مستوى اليمن بل على مستوى البلدان المتضررة - إلى ضرورة إيجاد حلول لمن يقطعون الطريق على السفن لردعهم عما يفعلونه من أعمال قد يتضرر منها اقتصاد هذه البلدان.

1- عوامل انتشار القرصنة البحرية:

لم تعرف اليمن القرصنة خلال مدة التاريخ الإسلامي إلا بعد أن تجمعت هناك العديد من العوامل التي ساعدت على وجودها، ومن الطبيعي أن تكون عمليات السطو على السفن في البحر قد انتشرت قبل ذلك الوقت مع أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا لم تذكر ذلك ولو حتى من باب الإشارة، لهذا من خلال دراستنا لهذه الظاهرة وتحديداً في المدة المذكورة التي عرفت بكثرة صراعاتها نجد أن هناك العديد من العوامل التي كانت سبباً رئيساً في معاناة اليمن من القرصنة، وليس معنى هذا أنه لم يكن هناك قطع للطريق في البحر فيما سبق؛ بل على العكس من ذلك، فقد تكون هناك حالات سطو تعرضت لها بعض السفن، كما قد تكون هناك جماعات عاشت على ذلك؛ ولكنها حالات نادرة - على ما يبدو - لم تدونها المصادر التاريخية التي أهملت ذكر ذلك لاهتمامها بتدوين ما كان يحدث من خلافات سياسية كانت تشغل الناس أكثر

ظاهرة كان بروزها واختفاؤها مرهوناً بقوة أو ضعف الدولة وحكامها.

إن موضوع القرصنة البحرية في مياه اليمن من المواضيع المهمة التي هي في حاجة إلى دراسة معمقة لمعرفة بداياتها الأولى ودوافعها الحقيقية، ومن يقوم بها، والجهات الممونة لها، وانعكاسات ذلك التموين على ركود التجارة البحرية، لانخفاض معدل السفن القادمة إلى موانئ اليمن، ومن هذا المنطلق قمنا بدراسة لهذا الموضوع في مدة زمنية محددة بالقرن السادس إلى القرن العاشر الهجري / القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي، وقسمناه إلى مباحث ثلاثة، ناقشنا في المبحث الأول: أبعاد ظاهرة القرصنة البحرية في السواحل اليمنية، وتطرقنا في ذلك إلى عوامل انتشار القرصنة، ووصف المصادر التاريخية لها، ومراحل تطورها في المدة الزمنية المذكورة. وناقشنا في المبحث الثاني: الأوضاع العامة للقرصنة من خلال دراسة نمط حياتهم، وأساليبهم في مهاجمة السفن، وعلاقتهم بسكان المناطق التي كانوا يلجؤون إليها، وجنسياتهم ومواطنهم الأصلية، ونوعية سفنهم وأسلحتهم. وخصصنا المبحث الثالث: لدراسة دور الدول الكبرى واليمن في محاربة القرصنة، وانهيينا بحثنا هذا بخاتمة استعرضنا من خلالها أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها، موضحين في ذلك الآثار المختلفة التي تركتها القرصنة على مستوى حياة الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مهمته حماية السفن من اللصوص، وحتى لو وجد فإنه لم يكن قادراً على التعمق في البحار لمطاردة هؤلاء، أو مراقبة الساحل اليمني الطويل.

ح- انتشار الجزر المهجورة والمعمورة في مياه البحر الأحمر (القلزم) وبحر العرب التي ساعدت على أن تكون ملاذاً آمناً للقراصنة، ومكاناً لتخزين مسروقاتهم، وأوكاراً لمهاجمة السفن التجارية المارة في البحر، وهو ما يؤكد القلقشندي⁽³⁾ الذي أشار إلى أنه قد وجد في جزر القلزم قوم يعترضون السفن وينهبونها.

د- عدم تعامل بعض حكام اليمن بصرامة مع القراصنة الذين يتم إلقاء القبض عليهم، بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عليهم، لأسباب قد يكون منها رغبتهم في اتباع أسلوب اللين معهم عسى أن يؤدي ذلك إلى توبتهم⁽⁴⁾، على الرغم من أن ديننا الإسلامي الحنيف حرم قطع الطريق، ووضع الأحكام التي تطبق على من يقومون بمثل هذا العمل الذي يضرع الناس وينشر الرعب بينهم، ويمنعهم من السفر أو العمل في التجارة البحرية.

هـ - ضعف الوازع الديني عند من يقومون بمثل هذه الأعمال، أو عدم وجوده لأن أكثر من عملوا في قطع الطريق كانوا - على ما يبدو - من غير المسلمين من أفريقيا والهند⁽⁵⁾، وعدد قليل لا يذكر من المسلمين⁽⁶⁾، الذين كان لبعدهم عن الإسلام وتعاليمه، وحالتهم المعيشية الصعبة دور في خروجهم إلى البحر للتكسب والعيش.

و- نجاح معظم عمليات القرصنة، وهو ما شجع على تكوين عصابات تجوب البحر وترقب سير السفن لمهاجمتها ونهب ما فيها.

من غيرها، ومن الملاحظ أن ركود اليمن تجارياً بسبب تلك الخلافات وقلّة عدد السفن القادمة إلى موانئها في المدة السابقة لمدة الدراسة لم يشجع اللصوص على ركوب البحر، كما لم يجعل للقرصنة رواجاً ولا أهمية بينهم، علماً بأنه من خلال دراستنا لما جاء في المصادر وجدنا بأن من كان يقوم بمثل هذه الأعمال هم أفراد قدموا من البلدان القريبة أو المحيطة باليمن، ولم يكونوا من اليمنيين أنفسهم، ويبدو أن معظمهم كانوا من سكان البلدان الساحلية التي ارتبطت مع اليمن بعلاقات تجارية، لعرفتهم بخطوط التجارة، وموعد خروج السفن، وعدد بحارتها، وما تحمله من أموال، وهو ما تؤكد المصادر⁽¹⁾، ولا يعني هذا أنه لم يكن هناك قرصنة يمنيون، ولكن قد يكونوا قليلين مقارنة بغيرهم، لأسباب مختلفة منها: قوة الوازع الديني والأخلاقي الذي يحرم على المسلم إفزاز الأمن وإخافته بقطع الطريق عليه، والخشية من ركوب البحر، والخوف من عقاب الدولة، وهو ما جعل ذلك من أكثر الأسباب التي منعت أهل اليمن من قطع الطريق على السفن وسرقتها، ومن هنا يمكن أن نعيد عوامل انتشار القرصنة البحرية إلى الآتي:

أ- الظروف المعيشية الصعبة التي كان يعيشها أهالي بعض المناطق الساحلية، لدرجة يتحول فيها بعض الصيادين الفقراء إلى لصوص، بعد أن يعجزوا عن العيش من وراء الصيد في البحر.

ب- ازدهار حركة النقل البحري في اليمن التي شبهها بعض المؤرخين بجبل طارق الشرق⁽²⁾، لموقعها الهام، وكثرة توافد السفن إلى موانئها من الغرب والشرق عبر مضيق باب المندب الاستراتيجي.

ج- ضعف الإجراءات الأمنية في البحار اليمنية لفشل بعض سلاطين الدول التي حكمت اليمن من مراقبة سواحلها الطويلة، أو التعمق فيها إلى الداخل؛ لعدم امتلاكهم أسطول بحري كبير مهيناً تهيئة عسكرية، تكون

- 1438 م) مصطلح غريب حاولنا أن نبحث عن تعريف صحيح له في كتب ومعاجم اللغة ولكننا لم نجد له تفسير، وهو مصطلح: "المجورون"⁽¹³⁾، الذي يبدو أنه أطلق على عصابات عملت في البحار اليمنية وأثارت الخوف والقلق فيها، وأصبح وجودها من المشكلات التي أقلقته السلطان الظاهر، وكثيراً ما كان يصطدم بأفرادها بعد أن صاروا يشكلون خطراً يهدد أمن وسلامة السواحل اليمنية⁽¹⁴⁾. وقد اجتهد بعض العلماء في محاولة لتفسير معنى هذا المصطلح كالعلاقة المحقق عبد الله محمد الحبشي الذي قال في وصف المجورين: "كأنهم طائفة من القرصنة"⁽¹⁵⁾. ومن الملاحظ أن الحبشي اعتمد في تحليله هذا على ما قرأه عن هؤلاء الذين كانوا يعيشون بشكل جماعات خارجة عن سيطرة الدولة، وتمتلك سفن في عرض البحر مع عدم رضا الدولة عن أفعالهم التي من المؤكد أنها لا تخرج عن إطار تهريب البضائع لبعض التجار إلى السواحل اليمنية المفتوحة دون مرورها بالموانئ الرئيسية، ودون أن تخضع لجمرك الدولة، وهو ما جعلهم خارجين عن القانون.

وقد يكون ما ذهب إليه الحبشي صحيحاً حول المجورين، فقد يكونون فعلاً قرصنة مع أننا لم نجد في المصدر الذي ذكرهم ما يؤكد أو حتى يشير إلى أنهم كانوا يقطعون الطريق على السفن أو حتى يحاولون نهبها، وقد دفعني إلى الذهاب إلى ما ذهب إليه الحبشي ما وجدته في بعض الكتب من أن هناك الكثير من العرب عملوا في القرصنة في مياه الجزيرة العربية الجنوبية، وأن سفنهم كانت تجوبها لتغير على المراكب المارة لسلب ما فيها، لهذا كان التجار يتفقون مع هؤلاء القرصنة على دفع مبالغ مالية لهم مقابل تعهدهم بسلامة سفنهم، وعدم التعرض لها، وإيصالها إلى سواحل بلادهم⁽¹⁶⁾ بأقل التكاليف، دون أن

ي- توافر الإمكانيات المادية لدى القرصنة، والمعدات القتالية من أسلحة متنوعة، وسفن مختلفة⁽⁷⁾، وخبرة في معرفة أماكن سير هذه السفن، واتجاه الرياح والنجوم، للسير في البحر ليلاً ونهاراً دون خوف منه أو الضياع فيه.

ع- سهولة ترويح المسروقات وبيعها في بعض الجزر القريبة من اليمن⁽⁸⁾، وهو ما شجع القرصنة على المغامرة دوماً بعد أن شعروا بقيمة ما كانوا يحصلون عليه من أموال، مما ساعدهم على العيش وشراء السفن والأسلحة التي شجعتهم على الاستمرار في القرصنة.

2- وصف المصادر التاريخية للقرصنة:

تُعرف المعاجم اللغوية القرصنة بأنها السطو على السفن التجارية، والقرصان بأنه لص البحر⁽⁹⁾، وهو ما يعني أن القرصنة هم من يهاجمون السفن في عرض البحر ويقطعون الطريق عليها لسرقتها ونهب ركابها، وأخذ ما معهم من أموال وبضائع، ومن الملاحظ أن مصطلح قرصنة أو قرصنة لم يكن من المصطلحات المعروفة عند اليمنيين في مدة الدراسة لعدم حصولنا على أي دليل يشير إلى أنهم كانوا يسمون من يسطوا على السفن وينهبونها بالقرصنة، وقد عرف هؤلاء بين عامة الناس في اليمن بسراق السفن، وهي الحرفة التي أمتنها هؤلاء ولم يعرفوا بين الناس إلا بها⁽¹⁰⁾، في حين وصفتهم مصادر أخرى بلصوص البحر⁽¹¹⁾، وبالمفسدين، وقطاع طرق المسلمين في البحر⁽¹²⁾، مع أن اللص هو السارق وليس هناك فرق بينهما فكلاهما يقوم بنفس العمل وهو السرقة.

ومن العجيب، أن نجد عند بعض المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ اليمن الإسلامي لاسيما خلال مدة حكم أحد سلاطين بني رسول وهو السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل بن الأفضل عباس (831 - 842هـ / 1427

تخضع لضرائب الدولة الب
إما أن يكونوا:

أ- طائفة من القراصنة
اليمنية ليسطوا على السف
ب- أو قراصنة ومهريين-
التجار على تهريب بضائ
حمايتهم حتى يوصلونها إ
عن رقابة الدولة وأعينها
مقابل مال يدفعه التجار
بضائعهم بسلام، لاسيما وأ
دفع الأموال للقراصنة الأ
الدولة التي لم توفر الأما
الأقرب إلى الصواب.

ج- أو قراصنة اشتهروا ب
يفرضون على التجار م
لسفهم عند نقلها للبضا
بر الأمان.

إلا أن الإشارة إلى
للقراصنة لفظاً ومعنى
ماركو بولو الذي كتب ع
البندقية الإيطالية إلى قار
في القرن السابع الهجري /
القارة المذكور، وذكر أنه و
سقطرى قراصنة يقط
وينهبونها⁽¹⁷⁾، ولم يقل «
المصادر اليمنية ذكرهم، و
هو من صنع المترجم الذي أ
الذي كُتب باللغة الإيطالي

إلى
ة.

م مع
ربي
ري في
تهم
راق
إنما
(18)

مع
لنا
لهم
لال
لياه
ندرة
لأنوا
مهم
إذا
هم
لأنوا
با أو

لأن
يما
مدة
منة
برز

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

ب
ب
ب
ت
ه
س
ن
وا
ع
م
ن
/
ب
ة
ول
م

اب
فة
ين
ن
يل
راء
فن
-
اس

